تَعَدُّدُ الْمَدْلُولِ وَتَطْبِيقَاتِهِ فِي السِّيَاقِ الْقُرْآنِيِّ

أ.م.د. خليل خلف بشير
جامعة البصرة - كلية الآداب

فحوى البحث

بحث مقتضب يتناول موضوعة التعدد في الدالِّ والمدلول (اللفظ والمعنى) في السياق القرآني، مبتدئاً بمدخل سماه السيد الباحث (الدالُّ والمدلول في اللغة العربية، معرّجا على تطبيقات هذا التعدد في سياق الذكر الحكيم، وانعكاس تعدد الدلالة القرآنية بتعدد المدلولات القرآنية. متخذاً من ألفاظ وردت في القرآن امثلة تطبيقية مثل كلمات (اليد –العين –الرب –القوة –الملك).... الخ.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد: فهذا بحث يتناول التعدد في الدال والمدلول (اللفظ والمعنى) في السياق القرآني مبتدئاً بمدخل سمّيته (الدال والمدلول في اللغة العربية) معرّجاً على تطبيقات هذا التعدد في سياق الذكر الحكيم، وانعكاس تعدد الدلالة القرآنية بتعدد المدلولات القرآنية، من خلال ثلاث ظواهر هي: المشترك اللفظي، والترادف، والتضاد.

على أنني بذلت جهدي، وأعملتُ فكري لأضع هذا البحث بالمستوى المطلوب، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[سورة هود: ٨٨].

مدخل:

الدال والمدلول في اللغة العربية:

تميّزت اللغة العربية بميزات تجلّت فيها منزلتها ومكانتها، ومن تلك ميزتان هما: طاقة معنوية تشد من وجودها وأصولها، وقوة دلالية تجدد نماءها وبقاءها، وازدادت هاتان الميزتان ثباتاً بنزول القرآن الكريم[١] إذ أصبحت الدراسات العربية بفروعها المختلفة متعلقة بالقرآن الكريم فكأنّ القرآن هو المحور الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة خدمةً للدين الإسلامي ولفهم القرآن الكريم: مصدر التشريع الإسلامي، ودستور المسلمين[٢].

على أنّ هذه اللغة في دلالاتها الكثيرة، ومعانيها الوفيرة قادرة على التعبير بأكثر من دلالة، والبيان بأكثر من وجه فظهر لدينا من الألفاظ المشتركة، والمتضادة، والمتقابلة، والمتناظرة، والمترادفة، والمتباينة[٣].

وقد أثار التعدد في الدال والمدلول (اللفظ والمعنى) أو التقابل بينهما عند علماء العربية نشاطاً لغوياً واسعاً، وقد

---

(١) ينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى/ د.حامد كاظم عباس ١٧٩.

(٢) ينظر: فصول في فقه العربية/ د. رمضان عبد التواب ١٠٨.

(٣) ينظر: الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائي (الميزان نموذجاً)/ د. الشيخ شبر الفقيه ١٥١.

رصدت فيه بعض الظواهر اللغوية التي كانت مثار جدل وخلاف كبيرين سواء بين اللغويين أنفسهم أم بين الأصوليين على أنّ هذه الظواهر في حقيقتها ظواهر دلالية قبل أن تكون ظواهر مستقلة بنفسها فقد تنبه علماؤنا القدماء في وقت مبكر على وجود علاقات تربط ألفاظ اللغة العربية بأسمائها وأفعالها، ورصدوا تلك الألفاظ، وصنفوها وفقاً لتلك العلاقات الرابطة بينها[٤].

والدال والمدلول والعلاقة بينهما من أهم القضايا الدلالية التي تناولها علماء الألسنية والدلالة، ولم يقتصر البحث فيها على تفكير اللغويين، وإنما هيمنت على مختلف صنوف المعرفة فقد حظيت بعناية الفلاسفة والفقهاء والأصوليين والمناطقة والبلاغيين والنقاد، ولعل اختلافهم في نشأة اللغة يقود الى اختلافهم في العلاقة بين الدال والمدلول فالقائلون بالنظرية التوقيفية يذهبون الى أنّ العلاقة بين الدال والمدلول متأتية من قوة خارجة عنهما، وقد تمت بموجب الوحي والإلهام، وهي ليست طبيعية أو ذاتية، ولا اصطلاحية عرفية، والقائلون بنظرية محاكاة الأصوات يذهبون الى وجود علاقة ذاتية بين الدال والمدلول، والقائلون بنظرية الاصطلاح والمواضعة يذهبون الى أن العلاقة بين الدال والمدلول قائمة على المواضعة والاتفاق بين أفراد المجموعة اللغوية فلا دخل لطبيعة الرموز اللغوية بمعانيها فلا صلة بينها وبين مدلولها بشكل مادي أو طبيعي، وإنما تقوم على أساس العرف اللغوي الاجتماعي[٥].

وسنسلط الضوء على ألفاظ قرآنية وقف عندها المفسرون والدلاليون العرب في سياقات مختلفة.

تطبيقات تعدد المدلول في السياق القرآني

أولاً: المشترك اللفظي: وقد عرّفه اللغويون بأنه ((اللفظ الدال على معنيين أو أكثر))[٦]، ومثلهم الأصوليون بأنه

(٤) ينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ١٧٩ - ١٨٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٨٢ - ٨٤، وعلم الدلالة/ إنعام محمد عيسى ٨٠ - ٨١.

(٦) المزهر/ السيوطي ١/ ٣٦٩.

((إفادة مجموعة المعاني بمجموعة من الدوال وبإزاء كل دال واحد من تلك المعاني))[٧]، أي أنه يتعدد المدلول بتعدد الدال. ومن أسباب وجود المشترك اللفظي في اللغة الاستعمال المجازي[٨]، الذي ربما لا يكون مقصوداً على أنّ قدرة الكلمة الواحدة على التعبير عن مدلولات متعددة، إنما هي خاصية من الخواص الأساسية للكلام البشري بوساطة السياق الذي يؤدي دوراً كبيراً في تكوين المشترك اللفظي إذ يبرز عامل القرينة الذي يرجح إحدى الدلالات المشتركة[٩]، ((وقد اختلف العلماء في تحديد المعنى المراد من بين المعاني المتعددة للفظ المشترك فيرى بعضهم أن اللفظ دال على جميع معانيه ما لم تكن هناك قرينة مانعة من ذلك، ويرى آخرون أنه يدل على واحد من تلك المعاني))[١٠].

وهناك من حصر ظاهرة المشترك اللفظي في ثلاثة اتجاهات هي[١١]:

ما اتجه الى دراسته في القرآن الكريم: ويمثله ما وصل إلينا من كتب الوجوه والنظائر منها كتاب الوجوه والنظائر (الأشباه والنظائر) لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ)، وآخر لهارون بن موسى الأزدي الأعور (ت ١٧٠هـ) ثم تتابعت المؤلفات في هذا الصدد.

١. ما اتجه الى دراسته في الحديث النبوي الشريف: ولم يصلنا سوى كتاب واحد هو كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ).

٢. ما اتجه الى دراسته في اللغة العربية ككل: مثل كتاب (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي

(٧) دروس في علم الأصول/ السيد محمد باقر الصدر ٢٢٥.

(٨) ينظر: في اللهجات العربية/ د. إبراهيم أنيس ١٨٢.

(٩) ينظر: الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ١٨٢.

(١٠) البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن، أطروحة دكتوراه، ابتهال كاصد ياسر الزيدي، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م، ص ١٢٥.

(١١) ينظر: علم الدلالة/ د. أحمد مختار عمر ١٤٧ -١٥١، والدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى ١٨٠.

(ت ٢١٦هـ)، كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لأبي العميثل (ت ٢٤٠هـ)، وكتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) للمبرد (ت ٢٨٥هـ).

ومن مصاديق المشترك اللفظي في السياق القرآني ألفاظ ترد مثل (اليد، والعين، والأمة، والرب، وغيرها)، في أنواع متعددة من السياق وقف عندها بعض الدلاليين، وهي في سياقاتها هنا تختلف عنها في السياق القرآني الذي يمتاز بجودة سبكه، وحسن نظمه، وروعة تناسق عباراته، فللفظة (اليد) مدلولات متعددة منها الآتي[١٢]:

١. الجارحة المعروفة.

٢. النعمة كما قولهم: لفلان عندي يد أشكرها، أي نعمة، وقول عدي بن زيد العبادي[١٣]:

وَلن أذكرَ النعمانَ إلا بصالحٍ

فإن له عندي يداً وأنْعُما

٣. القوة: كما في قوله تعالى في وصف إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[سورة ص: ٤٥]، أي ذوي القوى والعقول. قال المشهدي: ((أولي القوّة في الطَّاعة، والبصيرة في الدّين))[١٤].

٤. الملك: كما في قوله تعالى ﴿ .. ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ .. ﴾ [سورة البقرة: ٢٣٧] أي ((الزوج المالك لعقدة وحله عما يعود إليه))[١٥].

٥. التولي للشيء وإضافة الفعل في نحو قوله تعالى مخاطباً إبليس: ﴿ ... مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ... ﴾ [سورة ص: ٧٥]. قال الطبرسي ((لما تولَّيْتُ خَلْقَهُ بنفسي من غَيْرِ واسطة، وذلكَ أَنَّ الإنسانَ لَمَّا كانَ يُباشِرُ أكثرَ أعمالِهِ بيدِهِ غَلَّبَ العَمَل باليدين على سائرِ الأعمالِ التي بِغَيْرِها حتّى

(١٢) ينظر: العين/ الخليل بن أحمد الفراهيدي، يدي ٨/ ١٠١ -١٠٣، ومجمع البيان/ الطبرسي ٣/ ٣٧٤، ومفردات ألفاظ القرآن/ الراغب الأصفهاني (يد) ٨٨٩-٨٩١.

(١٣) ديوانه: ١٦٦.

(١٤) كنز الدقائق وبحر العجائب/ محمد رضا المشهدي١١/ ٢٥٣.

(١٥) تفسير البيضاوي/ البيضاوي ١/ ٥٣٥.

قالُوا في عَمَلِ القَلْبِ: هذا ممَّا عَملَتْ يَدَاكَ، ...))[١٦] وللفظة «قضى» عشرة مدلولات تختلف باختلاف السياق القرآني يمكن تلخيصها على النحو الآتي:

١. الأمر والوصية: في نحو قوله تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ ﴾[سورة الإسراء: ٢٣]، إذ ذكر الطبرسي أن المعنى وصى ربك، وأمر[١٧].

٢. الإخبار والإعلام: في نحو قوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ... ﴾ [سورة الإسراء: ٤]، أي: أخبرناهم أو أعلمناهم[١٨].

٣. الفراغ: في نحو قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ ... ﴾[سورة البقرة: ٢٠٠]، أي: فرغتم منها[١٩].

٤. الفعل: في نحو قوله تعالى ﴿ ...فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ... ﴾[سورة طه: ٧٢]، أي: فافعل ما أنت فاعل[٢٠].

٥. النزول: في نحو قوله تعالى ﴿ ...لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ... ﴾[سورة الزخرف: ٧٧]، أي: لينزل. قال ابن عاشور: ((وتوجيه الأمر إلى الغائب لا يكون إلا على معنى التبليغ كما هنا، أو تنزيل الحاضر منزلة الغائب لاعتبار مَّا مثل التعظيم في نحو قول الوزير للخليفة: لِيَرَ الخليفة رأيه))[٢١].

٦. الوجوب: في نحو قوله تعالى ﴿ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّا.. ﴾ [سورة مريم: ٣٩]، أي: ((وجب العذاب فوقع بأهل النار))[٢٢].

٧. الكتابة: في نحو قوله تعالى ﴿ ...وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[سورة مريم: ٢١]، أي: مكتوباً. ((أي تعلق به قضاء الله في الأزل أو قدر وسطر في اللوح أو كان أمرا حقيقيا بأن يقضى ويفعل

(١٦) تفسير جوامع الجامع/ الطبرسي ٣/ ٢٠٥.
(١٧) مجمع البيان ١/ ٣٦٢.
(١٨) تفسير القمي/ علي بن إبراهيم القمي ٢/ ١٤، والتبيان في تفسير القرآن/ الشيخ الطوسي ١/ ٤٣٠.
(١٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ١٧٠، ومجمع البيان ١/ ٣٦٢.
(٢٠) ينظر: مجمع البيان ١/ ٣٦٢.
(٢١) التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور ١٣/ ٢٤٨.
(٢٢) مجمع البيان ١/ ٣٦٣.

لكونه آية ورحمة))[٢٣].

٨. الإتمام: في نحو قوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ ... ﴾[سورة القصص: ٢٩]، أي: أتم. إذ ذكر الطبري أن المعنى ((فلما وفى موسى صاحبه الاجل الذي فارقه عليه، عند إنكاحه إياه ابنته، وذكر أن الذي وفاه من الأجلين، أتمهما وأكملهما، وذلك العشر الحجج، ...))[٢٤].

٩. الحكم والفصل -وهو المعنى الأصل-: في نحو قوله تعالى ﴿ ...وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ... ﴾[سورة الزمر: ٦٩]، أي يفصل[٢٥].

١٠. الجعل: في نحو قوله تعالى ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ... ﴾[سورة فصلت: ١٢]، أي: جعلهن[٢٦].

وكذا في لفظة (السبيل) فهي ترد بمدلولات متعددة من ذلك الآتي:

١. الطريق والسنة في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[سورة يوسف: ١٠٨] أي طريقتي وسنتي[٢٧].

٢. السبب في قوله تعالى ﴿ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[سورة الفرقان: ٢٧] أي سبباً ووصلة[٢٨].

٣. الضيف المنقطع به أو المسافر البعيد عن منزله في قوله تعالى ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾[سورة البقرة: ١٧٧]. إذ ذكر الشيخ الطوسي أنّ ابن السبيل: هو المنقطع به إذا كان مسافرا محتاجا وإن كان غنيا في بلده، وهو من أهل الزكاة. وقيل: إنه الضيف، وأنّ ابن السبيل: بمعنى ابن الطريق، كما قيل للطير: ابن الماء، لملازمته إياه[٢٩].

٤. العذر والعلة في قوله تعالى ﴿ فَلَا

(٢٣) تفسير البيضاوي ٤/ ١٠.
(٢٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ الطبري ٢٠/ ٨٤.
(٢٥) مجمع البيان ١/ ٣٦٣.
(٢٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ١١١، ومجمع البيان ٣/ ٣٦٣.
(٢٧) التفسير المبين/ الشيخ محمد جواد مغنية ٣١٩.
(٢٨) التحقيق في كلمات القرآن الكريم/ الشيخ حسن المصطفوي ٥/ ٤٣.
(٢٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٩٦.

﴿ تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾[سورة النساء: ٣٤]. أي لا تطلبوا عليهن عللا بالباطل[٣٠].

٥. الحجة في قوله تعالى ﴿ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[سورة النساء: ٩٠]. يعني حجة وسلطانا في قتالهم[٣١].

٦. الملامة في قوله تعالى ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [سورة الشورى: ٤١]. أي بالمعاتبة والمعاقبة[٣٢].

٧. المخرج في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾[سورة عبس: ٢٠]. أي ((ثمّ سهّل مخرجه من بطن أمّه، بأن فتح فوهة الرّحم... أو ذلّل له سبيل الخير والشّر))[٣٣].

٨. اللوم والعتاب أو الإثم والمعصية في قوله تعالى ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾[سورة التوبة: ٩١]، ومثله في قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾[سورة آل عمران: ٧٥]. أي من لوم وعتاب فضلا عن الإثم وعقوبته[٣٤].

ويبدو أنّ السياق قد حدّد دلالة هذه الألفاظ على وجه الدقة، وبوساطته تتجاوز الكلمات حدودها الدلالة المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة قد تكون نفسية أو إيحائية أو اجتماعية أو مجازية أو غير ذلك من الدلالات التي اصطلح عليها المحدثون بمصطلحات خاصة[٣٥].

ثانياً: الترادف: ظاهرة لغويّة قديمة عني بها اللغويّون القدماء كغيرها من الظواهر اللغويّة فأشاروا إليها في مؤلّفاتهم بتسميات متقاربة، مثل (وقوع الألفاظ المختلفة على المعنى الواحد) و (تعدّد الأسماء للمسمّى الواحد)[٣٦]، وكما شغلت هذه الظاهرة اللغويين القدماء فقد شغف بها المحدثون وتوزع اهتمامهم في

(٣٠) مجمع البيان ٣/ ٨٠.
(٣١) تفسير السمرقندي/ أبو الليث السمرقندي ١/ ٣٥١.
(٣٢) كنز الدقائق وبحر العجائب ٥٣٤.
(٣٣) كنز الدقائق وبحر العجائب ١٣٦.
(٣٤) التفسير المبين ٢٥٧.
(٣٥) ينظر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي/ أ. د هادي نهر ١٩٢.
(٣٦) ينظر: الترادف في اللغة/ د. حاكم مالك ٣٣ - ٣٤.

دراستها في مناحٍ شتى، كان منها التعريف بالظاهرة، والبحث في جوازها من عدم جوازها ثم رصد أسبابها، وآثارها[٣٧].

ولا أريد الخوض في هذه التفصيلات فقد أشبعت بحثاً وتنقيباً وحسبنا أن نتخير تعريفاً من تعريفات الترادف وهو اتحاد في المفهوم أو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد، كالليث والأسد[٣٨]، وقد استعمل القرآن الكريم ألفاظاً تحمل مدلولاً مترادفاً، ولكنها في السياق تعطي مدلولاً مضاداً، ومثال ذلك (الغيث) و (المطر)، وكلاهما بمعنى واحد فالغيث: المطر والكلأ، والمطر: الماء المنسكب من السحاب[٣٩]، ولكن المعنى في القرآن مختلف إذ إن الغيث معناه الماء المنسكب من السماء رحمة للعباد، وهو سبب الخير والنماء والزرع وهو متاع للناس والأنعام[٤٠] نحو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[سورة الشورى: ٢٨]، وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ [سورة لقمان: ٣٤] في حين دل المطر على نقمة الله على الكافرين المعرضين أرسله الله تعالى عقابا للأمم الكافرة و الأقوام السادرة في غيّها[٤١]، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴾[سورة هود: ٨٢] وقوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٧٣]، و [سورة النمل: ٥٨].

يُستدل من ذلك أن لغة التنزيل قد ((فرّقت بين المطر والغيث فكان المطر عذاباً وشراً ونذراً بالويل والثبور، وكان الغيث رحمةً وخيراً ونعماً))[٤٢]، ومثل ذلك في استعمال لفظتي (الريح والرياح)

(٣٧) ينظر: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق/ محمد نور الدين المنجد ٢٩.

(٣٨) ينظر: التعريفات/ الشريف الجرجاني ١٦٠.

(٣٩) يُنظر: لسان العرب، مادة (غيث) ٢/ ١٠٣٤.

(٤٠) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القران/ عودة خليل أبو عودة ٥٠٧.

(٤١) المصدر نفسه ٥٠٨.

(٤٢) من وحي القران/ د. إبراهيم السامرائي ١٢٧.

فالريح ضارة شديدة قاسية عاصفة في حين الرياح هادئة مطمئنة طيّبة تحمل في نسائمها الخير[٤٣] نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة: ٦]، وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧])، وقوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[سورة الأحقاف: ٢٤]، وقوله ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٢٢] ويستثنى من ذلك قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ﴾[سورة يونس: ٢٢]. فقد دلت الريح على الرحمة؛ لأن سياق الآية يتطلب ذلك[٤٤]، ولكنها رحمة مؤقتة فقد ﴿ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [سورة يونس: ٢٢] ومما يؤيد هذا الفرق الدقيق الذي استعمله القرآن بين الريح والرياح رواية للنبي ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (هاجت ريح أشفق منها رسول الله ﷺ فاستقبلها وجثا على ركبتيه ومدّ يديه الى السماء ثم قال: ((اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا))[٤٥].

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾[سورة هود: ٦٩] يذكر الراغب الأصفهاني معنى كلمة حنيذ بقوله (((حنيذ) أي مشويٌّ بين حجرين، وإنما يفعل ذلك لتتصبب عنه اللزوجة التي فيه، وهو من قولهم حنذت الفرس: استحضرته شوطاً أو شوطين ثم ظاهرت عليه الجلال ليعرق...))[٤٦] فقد آثر هذه اللفظة (حنيذ) مبالغةً في إكرام رسل النبي إبراهيم عليه السلام في حين في حديثه

(٤٣) يُنظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القران ٥١١، ٥١٢.

(٤٤) ينظر: مراتب التفضيل في القران الكريم دراسة أسلوبية (بحث) الدكتورة عواطف كنوش، مجلة دراسات لغوية وأدبية ع ٦، س٢، ٢٠٠٢، ص ١٢١.

(٤٥) يُنظر: الإتقان في علوم القران/ السيوطي ١٩٤.

(٤٦) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (حنذ)، ٢٦٠، وينظر: إرشاد العقل السليم/ أبو السعود ٣/ ٣٦٨.

عن ضيوف إبراهيم الذين لم يعرف أنهم ملائكة قال ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾[سورة الذاريات: ٢٤-٢٦].

ولعل في اختيار لفظة (أتى) وإيثارها على مرادفتها (جاء) جاء فيه من سمو التعبير وبلاغة القول فضلا عن الفرق الموجود بين اللفظتين الذي يبينه السياق كما قرر ذلك الراغب في قوله: ((المجيء أعم لأن الإتيان مجيء بسهولة والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول))[٤٧]، لذا فإن الفعل (جاء) يأتي مع ما هو أشد وأصعب كما في الآيات الدالة على تكذيب الأمم لرسلهم واستهزائهم وكل ما يدل على التهديد والوعيد نحو قوله: ﴿ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ ﴾[سورة هود: ٧٦]وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ [سورة هود: ٨٢] وقوله: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴾ [سورة النازعات: ٣٤] ولصعوبة الموقف وشدة الموت يظل الفعل (جاء) ملازماً للأجل والموت[٤٨] نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٣٤] وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ ﴾ [سورة الأنعام: ٦١].

وفي مادة (عزّ) يعرف الراغب الأصفهاني العزة بأنها ((حالة مانعة للإنسان من أن يغلب من قولهم: أرض عزاز أي: صلبة قال تعالى ﴿ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾[سورة النساء: ١٣٩]... والعزيز الذي يقهر ولا يُقهر. قال ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٦] ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ [سورة يوسف: ٨٨] قال ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[سورة المنافقون: ٨] ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

(٤٧) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جاء) ٢١٢.

(٤٨) يُنظر: مراتب التفضيل في القران الكريم ١١٦، ومن أسرار البيان القرآني/ د. فاضل السامرائي ٤٠ -٤٢.

[سورة الصافات: ١٨] فقد يمدح بالعزة تارة كما ترى ويذم بها تارة كعزة الكفار قال: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[سورة ص: ٢] ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية التي هي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز وهو في الحقيقة ذل... وقد تستعار العزة للحمية والأنفة المذمومة وذلك في قوله (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ) [سورة البقرة: ٢٠٦]...))[٤٩].

ثالثاً: التضاد: عرّفه قطرب بقوله ((أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى فيكون اللفظ الواحد على معنيين))[٥٠] مثل: المولى تطلق على السيد والخادم، والجون على الأبيض والأسود.

وفي قوله تعالى ﴿ ... لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ﴾[سورة يونس: ٤] يقول الطبرسي ((القِسْط: العدل، ومنه القسط: النصيب، والقَسط -بفتح القاف-: الجور، والقَسَط -بفتح القاف والسين -اعوجاج في الرجلين))[٥١]، وكذا قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ ..وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [سورة الحجرات: ٩]: ((... والقِسط: العدل، ونحوه الإقساط والقسوط، والقَسط بالفتح: الجور والعدول عن الحق، فأصل الباب العدول...))[٥٢]، والمقسطون: العادلون، يقال: أقسط إذا عدل، والقاسطون: الجائرون يقال: قسط إذا جار[٥٣]، قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [سورة الجن: ١٥] وقد أشار إلى هذا المعنى ابن فارس بقوله: في مادة (قسط) إنها ((أصل صحيح يدل على معنيين متضادين والبناء واحد. فالقسط: العَدل. ويقال منه: أقسط يقسط... والقَسط بفتح القاف: الجَور...))[٥٤]، ويظهر من

(٤٩) مفردات ألفاظ القرآن ٥٦٣ -٥٦٤.
(٥٠) الأضداد/ قطرب ٧٠.

(٥١) مجمع البيان: ٥/ ١٦٨، ومفردات ألفاظ القرآن(قسط) ٦٧٠.
(٥٢) مجمع البيان: ٩/ ٢٤١.
(٥٣) ينظر: أدب الكاتب/ ابن قتيبة ٢٧٠، ومعاني القرآن وإعرابه/ الزجاج ٥/ ٢٣٥، والتبيان/ الطوسي ٩/ ٣٤٦.
(٥٤) معجم مقاييس اللغة (قسط) ٥/ ٨٥-٨٦، وينظر: المعجم المفصل في الأضداد/ د. انطونيوس بطرس: ٢٥٢ -٢٥٣.

تفسيرهم القسط بالعدل إرادة التقارب في المعنى لا الترادف والاتحاد في المفهوم، فالاستعمال القرآني ينافي ذلك؛ لأنه يقال: عادل ولا يقال: قاسط إلا للجائر بل يقال لما يجعلونه بمعنى العادل: مقسط[٥٥]، وهذا يدل على إن مادة (القِسط) من الأضداد فان كان السياق والمعنى أميل إلى الحق فهذا العدل، وإن كان إلى الباطل فهو الجور والاعتساف[٥٦].

لقد استعملت مادة (قسط) في التعبير القرآني أكثر من عشرين مرة بمعنى العدل، ولم تستعمل إلا مرة واحدة بمعنى الظلم بصيغة اسم فاعل في الآية (١٥) من سورة الجن ولكنه استعمل (اقسط) اسم تفضيل بمعنى (أعدل) في قوله تعالى﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٢] وقوله ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾[سورة الأحزاب: ٥] مع أن أفعل التفضيل لا يكون إلا من الثلاثي فكيف تأتى للغويين أن يقولوا إن الثلاثي من هذه المادة لا يفيد معنى العدل؟. اللهم إلا إذا كان استعمال القاسطين بمعنى الظالمين تأدباً في الخطاب الإلهي، وتحاشياً لذكر كلمة الظلم أمامه سبحانه وتعالى[٥٧].

الخاتمة:

بعد هذه الجولة البحثية في تعدد المداليل القرآنية في السياق القرآني اتضح لنا أن المداليل القرآنية تتعدد بتعدد الدوال القرآنية فاليد جاءت بمداليل متعددة منها: (الجارحة المعروفة، والنعمة، والقوة، والملك، والتولي للشيء)، وكذا دلت (قضى) على مداليل متعددة منها: (الأمر والوصية، والإخبار والإعلام، والفراغ، والفعل، والنزول، والوجوب، والكتابة، والإتمام، والحكم والفصل، والجعل)، وكذا دلّ السبيل على مداليل متعددة منها: (الطريق والسنة، والسبب، والضيف المنقطع به أو المسافر البعيد، والعذر والعلة، والحجة، الملامة، والمحرج، والإثم أو المعصية).

(٥٥) ينظر: آلاء الرحمن في تفسير القرآن ٢/ ٢٩.
(٥٦) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن/ السيد عبد الأعلى السبزواري، ٤/ ٤٢٢.
(٥٧) ينظر: في اللهجات العربية/ د. إبراهيم أنيس ٢٠٧.

ولعل ذلك كله من المشترك اللفظي الذي عرّفه اللغويون بأنه اللفظ الدال على معنيين أو أكثر، ومثلهم الأصوليون بأنه إفادة مجموعة المعاني بمجموعة من الدوال وبإزاء كل دال واحد من تلك المعاني، أي أنه يتعدد المدلول بتعدد الدال. ومن أسباب وجود المشترك اللفظي في اللغة الاستعمال المجازي الذي ربما لا يكون مقصوداً على أنّ قدرة الكلمة الواحدة على التعبير عن مدلولات متعددة إنما هي خاصية من الخواص الأساسية للكلام البشري بوساطة السياق الذي يؤدي دوراً كبيراً في تكوين المشترك اللفظي إذ يبرز عامل القرينة الذي يرجح إحدى الدلالات المشتركة.

ويتعدد المدلول في بابي الترادف والتضاد بوجود السياق كما وجدنا ذلك في (المطر)، وفي (الريح والرياح)، وفي (حنيذ وسمين)، وفي (جاء وأتى)، وفي (عزّ ومشتقاتها)، (القاسطين والمقسطين).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح/ محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٤.
- أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري، حققه وضبط غريبه وشرح أبياته، والمهم من مفرداته: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ ٣، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، موقع التفاسير http //:www .altafsir.com.
- الأضداد، محمد بن المستنير المعروف بـ (قطرب)، تح/ د. حنا حداد، ط١، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٤م.
- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، الشيخ محمد جواد البلاغي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤٢٠هـ.
- البحث الدلالي في التبيان في تفسير القرآن، أطروحة دكتوراه، ابتهال كاصد ياسر الزيدي، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤م.
- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ

الطوسي، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، رمضان المبارك، ١٤٠٩هـ.

- التحرير والتنوير، ابن عاشور، موقع الكتاب.

http: / / www. altafsir. com

- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧ه.
- الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، ط٢، دار الفكر بدمشق، دار الفكر المعاصر ببيروت، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- الترادف في اللغة، حاكم مالك لعيبي الزياديّ، دار الحرّيّة للطباعة، بغداد، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، عودة خليل أبو عودة، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٥.
- التعريفات، عليّ بن محمد بن عليّ الجرجانيّ (ت ٨١٦ هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- تفسير البيضاوي، البيضاوي، بيروت، دار الفكر، (د. ت).
- تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي، تحقيق: د. محمود مطرجي، بيروت -دار الفكر، (د.ت).
- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، المطبعة: مطبعة النجف، ١٣٨٧ه.
- التفسير المبين، الشيخ محمد جواد مغنية، ط٢، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق وتقديم: الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

- جوامع الجامع، الشيخ الطبرسي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٢١هـ.
- دروس في علم الأصول، السيد محمد باقر الصدر، ط/ ٢، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، قم، ١٤٢٤هـ.
- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى، د. حامد كاظم عباس، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٤م.
- الدلالة القرآنية في فكر محمد حسين الطباطبائي (الميزان نموذجاً)، د. الشيخ شبر الفقيه، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه: الدكتور محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٦، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- علم الدلالة، إنعام محمد عيسى، ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، أ. د هادي نهر، ط٢، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- العين (كتاب)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، ط/ ٢، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ.
- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ط٦، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- كنز الدقائق وبحر الغرائب (تفسير)، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تحقيق: حسين درگاهي، ط١، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- لسان العرب، ابن منظور، إعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، (د. ت).
- مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت -لبنان، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.
- مراتب التفضيل في القرآن الكريم دراسة أسلوبية (بحث)، د. عواطف كنوش، مجلة دراسات لغوية وأدبية ع٦، س٢، ٢٠٠٢.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، الزجاج، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، ط/ ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
- المعجم المفصل في الأضداد، الدكتور أنطونيوس بطرس، ط/ ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ..
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني تح: صفوان عدنان داوودي، ط/ ٤، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، مطبعة كيميا، ١٤٢٥هـ.
- من أسرار البيان القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ط١، دار الفكر ناشرون وموزعون، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ.
- من وحي القرآن، د. إبراهيم السامرائي، ط١، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ١٩٨١.